

نفحات القرآن

[307] الهلاك، فما يسمع كلامك إلاّ الذين آمنوا بآيات الله وسلموا للحق (أي الذين تتلف قلوبهم تلف للحق، فان قلوباً كهذه كالأرض المعدّسة للزرع، تسطع عليها الشمس، وتقطر السماء عليها قطرات الحياة، فتنبو فيها البذور بسرعة، وأما القلوب التي عطّلتها حُجب التعصب والجهل فانها محرومة من هذه الحقائق)(1). * * * والآية الرابعة تحدثت عن أولئك الكفار الذين وقفوا أمام الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) عناداً، وخالفوا كل ما جاء به، فكانوا يرمون الرسول والقرآن بالباطل تارة، وتارة أخرى يقولون: إن ما جاء به الرسول سحر وأساطير الأولين ولا مجال للحق فيه: فتحدث في هذه عن هؤلاء وقال: (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ). لأنهم لا يعلمون شيئاً عن هذا الكتاب السماوي الذي هو مصدر للحقائق كما ان الآية توضح العلاقة بين "الجهل" و"العناد". * * * وعكست الآية الخامسة النموذج الكامل من العناد، فما قيل الى الآن كان خطاباً بين الله ورسوله، أما هنا فهم يعترفون بأنفسهم بأن على قلوبهم أكنة، وفي آذانهم وقراً، وبين رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حجاب لا يسمح لهم إدراك ما يقول والتسليم له، فاعمل على شاكلتك ونحن عاملون على شاكلتنا. إن هذه التعابير تبين بوضوح ما هو العامل الاساسي لهذه الحجب وما هو السبب الرئيسي للوقر الذي يجعل في الاذن؟ إنها عبارات تمطرُ تعصباً _____ 1 - وقد جاء في سورة النمل الآية 11 مضمون يشبه مضمون هذه الآية.